ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص364-385

خطط ميافارقين، ومعالمها العمرانية في العصر الأيوبي (581-658هـ/1185- 1259م)

The Landmarks architectural of the city of Mayafariqin in the Ayyubid period (581-658 AH / 1185-1259 AD)

شوكت عارف محمد الأتروشي
جامعة زاخو (العراق)
Shawkat.a.mohammed@uoz.edu.krd

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/08/23
تاريخ القبول:
2021/11/29

الكلمات المفتاحية:
- ✓ ميافارقين
- ✓ فارقين
- ✓ خطط ميافارقين
- ✓ العصر الأيوبي

الملخص:

تُعد ميافارقين من مدن الثغور الإسلامية المُهمة نظراً لموقعها الجغرافي الفاصل بين حدود الجزيرة وأرمينية لذلك كان لها أهمية استراتيجية منذ القدم في الصراع بين الامبراطوريتين الفارسية، والبيزنطية، وسعيهما الحثيث لفرض السيطرة على تلك المنطقة العريقة بتاريخها، وحضارتها، تعاقب عليها حكم الكثير من الدول، ونظراً لأهميتها، وموقعها المُمّيز أضحت ضحية للحروب بين الروم، والفرس قبل أن يفتتحها المسلمون سنة 18هـ/639م فدخلت بذلك مرحلة جديدة من تاريخها، فبالإضافة إلى دورها السياسي المُؤثر كونها كانت عاصمة لعدة دول اسلامية كالدولة المروانية، كما اضطلعت بدورها الجهادي لا سيما في عهد السلاجقة، والأيوبيين الذين اتخذوا من المدينة قاعدة أمنية على امتداد حدودهم الشمالية لصد هجمات القوى المُعادية كالروم، والكرج، والخوارزمية، وكان لأبناء ميافارقين صفحات مُشرقة في مقاومة المغول التتار، ورغم توالي النكبات والمأسي على ميافارقين إلا أنّ المدينة لم تتخلى عن رسالتها الحضارية من خلال مُداومة أهلها، واستمرارهم في التمّيز والابداع في الميادين العلمية المُختلفة، وبرز من بين أبنائها مشاهير العلماء ممن ساهموا في بناء صرح الحضارة الإسلامية، والبحث مُحاولة للتعرف على المعالم العمرانية في العصر الأيوبي قبل أن تتعرض للدمار والخراب على يد الغزاة المغول.

Article info

Received:
23/08/2021
Accepted:
29/11/2021

Key words:
- ✓ Mayafariqin
- ✓ Farqin
- ✓ urbanization in the
- ✓ Ayyubid period

Abstract:

Mayafariqin is one of the important Islamic cities due to its geographical location separating the borders of the Euphrates region and Armenia, so it had a strategic importance since ancient times in the conflict between the Persian and Byzantine empires, and their quest to occupy that important region with its history and civilization, and its importance, and its distinctive location, it became a victim of wars between The Romans and the Persians before the Muslims conquered it in the year 18 AH / 639 AD, thus entering a new phase in its history ,In addition to its influential political role as it was the capital of several Islamic countries such as the Marwanid state, as well as during the era of the Seljuks, and the Ayyubids who made the city a security base along their northern borders to stop the attacks of the enemies, n addition to its influential political role, as it was the capital of several Islamic countries, such as the Marwanid state, as well as during the era of the Seljuks, and the Ayyubids who made the city a security base along their northern borders to stop the attacks of enemies, and the people of Mayyafariqin had a great role in fighting the Tatar Mongols, despite the challenges. The city did not abandon its civilizational message, and its people continued to innovate in various scientific fields, and famous scholars appeared among its sons who contributed to the prosperity of Islamic civilization. the research is an attempt by us to shed light On the Landmarks architectural in the Ayyubid era before it was destroyed by the Mongol invaders

خطط ميافارقين، ومعالمها العمرانية في العصر الأيوبي (581-658هـ/1185- 1259م)

مقدمة

تُعد المدن من أكثر البيئات الجغرافية تغيراً، كما أنها تُعد أنموذجاً مُجسماً لما أحدثه الإنسان في بيئته الجغرافية من بناء وتشييد وتغيير، وهي بيئات خصبة للكثير من الدراسات، وكان المسلمون من أوائل من اهتموا بدراسة جغرافية المدن، وتاريخها من حيث وصفها، ووصف أقاليمها، ودراسة أصول سكانها، وتشخيص بعض مشاكلها، بل وبنيتها الداخلية، ومناخها مثل ابن حوقل النصيبي، والمسعودي، وابن خرداذبة، والشريف الإدريسي، وياقوت الحموي، كما كان ابن خلدون في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي رائداً في مجال دراسة المدن.

وكما هو معلوم فان المدن تُمثل مراكز للقوة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، كما تُمثل المدن مختبرات تجري فيها دراسات العديد من الميادين والعلوم الاجتماعية المُختلفة، وتعكس المصادر التاريخية بصفة عامة، وكتب تاريخ المدن وخططها على وجه الخصوص مدى اهتمام الفكر الإسلامي بالمدن فقد كثرت المؤلفات التاريخية المُتعلقة بتاريخ المدن، وخططها كثرة ملحوظة حتى أننا لا نبالغ اذا قلنا أنه قلما نجد مدينة من المدن الإسلامية دون أن يُصنف لها تاريخ خاص، وتعرض هذه المصادر اما لتاريخ المدينة السياسي، واما لتاريخها الاجتماعي، واما يؤرخ لأعلامها البارزين، ومن هذه المصادر ما يختص بخططها وتكويناتها المعمارية، وهو ما يكشف عن الجوانب المعمارية، والانشائية للمدينة الإسلامية بصورة مباشرة، ويعّرف للمستويات الحضارية، والاجتماعية، والثقافية لمجتمع المدينة الإسلامية في ضوء الدلالات التي تعكسها هذه التكوينات المعمارية.

ويمكن القول أن هناك الكثير من المدن الإسلامية التي لا زالت بحاجة إلى من ينفض عنها غبار الماضي، ويكشف عن جوانب مُشرقة من تاريخها، وعمرانها، وحضارتها، ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على مدينة ميافارقين التي تُعد من مدن الجزيرة الفراتية العريقة بتاريخها، توالى عليها حكم الكثير من الدول، وخلال عهودها الإسلامية برزت ميافارقين كإحدى المدن المُهمة لا سيما في عهد الإمارة المروانية، والأراتقة، ثمّ الأيوبيون قبل أن يستبيحها المغول في منتصف القرن 7هـ/13م، وقد أسهب المؤرخون، والبلدانيون المسلمون في وصفها، والحديث عن مواردها، وخيراتها الطبيعية.

وبحكم موقع ميافارقين الاستراتيجي الفاصل بين حدود أرمينية، وبلاد الجزيرة الفراتية أتخذها الأيوبيون أثناء حكمهم لها –(659-581هـ/ 1184-1261م) – قاعدة أمنية، ومركزاً دفاعياً لصد غارات القوى الخارجية على امتداد حدودهم الشمالية. ورغم تقلبات الأحداث السياسية التي عصفت ببلاد الجزيرة الفراتية عموماً، ومدينة ميافارقين على وجه الخصوص إلا أن المدينة حافظت على مكانتها، ومكتسباتها الحضارية، حيث شهدت ميافارقين على عهد الأيوبيين ازدهاراً، وتوسعاً عمرانياً ملموساً لا سيما فيما يتعلق بتحصيناتها الدفاعية، كالأسوار، والقلاع، والحصون، والأبراج، والتي كان لها دور في صمود المدينة ومقاومتها للغزو المغولي لأكثر من عامين، بالإضافة إلى غيرها من المُنشآت العمرانية التي عكست المستوى الحضاري للمدينة على عهد الأيوبيين، وهو ما سيتم استعراضه في ثنايا البحث.

1. ميافارقين، التسمية، والموقع، والجغرافية

ميافارقين بفتح الميم وتشديد الياء ثمّ ألف وفاء وراء مهملة، ثمّ قاف مكسورة بعدها ياء ونون، وهو اسم أعجمي (ياقوت الحموي: 1995، جـ5، ص235)، وجاء ذكرها في أشعار العرب من ذلك قول الشاعر والأديب الكوفي أبو طالب العلوي(ت:559هـ/1163م):

ولما ابيض شعر الرأس مني ودعت وقلت ميا فارقينا

فما لي والتصابي بعد شيبي ولو اعطيت ميافارقينا .(الحميري:1984، ص567)

اختلف الباحثون في أصل تسمية ميافارقين، ويعتقد البعض أن ميافارقين مكونة من كلمتين (ميا)، وتعني الأودية، و(فارقين) وهو اسم لامرأة كانت قد استوطنت تلك الأودية فصارت تعني أودية فارقين، (ابن شداد: 1978، ج3، ق1، ص 265) وذكر الأنصاري بأن ميافارقين مُشتقة من الاسم (فاركين)، ويقال أن ميا اسم بانيها، وفارقين اسم المدينة (الانصاري:1928،ص191)، في حين ذكر لسترنج أن كلمة ميافارقين هي تحريف للكلمة الأرامية ميفكرت (Maybharkath) الأرامي، أو للكلمة الأرمنية مورفركن (Moufargin)، وقد سماها اليونان موتبروبولس (Matyropolis). (لسترانج:1954، ص143).

وذكر ياقوت الحموي أن أصل تسميتها القديم كان يعُرف بـ (**مدور صالا**) ومعناها بالعربية مدينة الشهداء، وتُشير الرواية أن شهداء النصارى قد نقلت رفاتهم فدفنت بها، وسميت بمدينة الشهداء، ويتفق القزويني مع ياقوت في هذه الرواية (القزويني: د/ت، ص565)، وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية قصة بناء المدينة على يد شخص نصراني يدعى (مروثا) كان يسكن في قرية عظيمة، وكان رئيس تلك القرية ، وعرف ببراعته بالطب، وظل مُقيماً فيها، وكان الفرس يغيرون عليه، ويسرقون مواشيه، فعمد إلى أرض ميافارقين، وقطع منها الأشواك والقصب، والطراش (تراش)، وجعله سياجاً، ودوراً لمواشيه، وحدث أن بنت ملك الفرس مرضت مرضاً عجز عن علاجها الأطباء فلما سمع ببراعة مروثا في الطب أرسل بطلبه لعلاج ابنته، وبعد أن تمكن مروثا من علاج ابنته أراد ملك الفرس أن يكافئه فطلب مروثا الهدنة وأن ينقل بقايا رفات الرهبان والنصارى إلى بلدته فتمّ له ما أراد فنقل الرفات ودفنها في دياره (ياقوت الحموي: 1995، جـ5، ص236؛ ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص264)، ولما سمع امبراطور الروم قسطنطين بعمل مروثا فرح بفعلته، وأراد أن يكافئه أيضاً فطلب مروثا منه بمساعدته في بناء موضعه وبناء بيعة داخل الدوار فكتب الملك قسطنطين إلى كل من يجاوره في البلاد مساعدته بالمال، والرجال فبنى مدينة عظيمة في موضعه، وجعل في وسط حائط سورها عظام شهداء النصارى التي جمعها من بلاد الفرس، وسمى المدينة مدور صالا، ومعناها مدينة الشهداء (القزويني: د/ت، ص565) قبل أن يتحول اسمها إلى ميافارقين، ثمّ أرسل قسطنطين وزرائه الثلاثة لمساعدة مروثا فبنى كل واحد منهم برجاً، وبيعة، فبنى أحدهم برج الرومية، والبيعة بالعقبة وبنى الآخر برج الراوية، وبيعة كانت تحت التل، وبنى الثالث برج باب الربض

والبيعة المدورة، وجعل للمدينة ثمانية أبواب، وقيل أن مدة عمارة ميافارقين حتى اكتملت كانت ثمانية عشر شهراً، وأنه ابتدأ بعمارتها بعد المسيح بثلاثة قرون (ياقوت الحموي: 1995، جـ5، ص237).

وحددت المصادر موقع ميافارقين ضمن اقليم الجزيرة الفراتية (الاصطخري: 1961، ص52)، وأشار آخرون أنها تقع بين الجزيرة، وأرمينية شرقي دجلة على مرحلتين منها (الإدريس:1989، جـ2، ص825؛ ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص260)، بينها وبين آمد خمسة فراسخ [1]، في حين يرى الحميري أنها: من أرض أرمينية (الحميري:1984، ص567)، وجاء عن ياقوت الحموي نقلاً عن العالم والفلكي اليوناني بطليموس أن طولها أربع وسبعون درجة وأربعون دقيقة[2] (ياقوت الحموي: 1995، جـ5، ص236)، أمّا الرحالة ناصر خسرو فأشار إلى صغر مساحة المدينة فيقول: "**أن قصر السلطان في القاهرة، وهو طلق من جميع الجهات، ولا يتصل به أي بناء وقد مسحه المهندسون فوجده مساوياً لمدينة ميافارقين**" (ناصر خسرو: 1983، ص89)، ونجد في وصف ناصر خسرو هذا مبالغة في حجم قصر السلطان، وصغر ميافارقين، ثمّ أن ناصر خسرو هو من القرن 5هـ/11م، ومن الطبيعي أن تكون المدينة قد توسّعت كثيراً عما كانت عليه في أيام الدولة المروانية، ومن بعدهم الأراتقة، والأيوبيين، وتلك الدول التي حكمت ميافارقين بعد القرن الخامس الهجري.

ومن خلال متابعة ما ذكر عن موقعها نجد أن أرض ميافارقين كانت تمُثّل منطقة فاصلة بين الأراضي الأرمنية، وأراضي الجزيرة الفراتية، ولا شك أن موقعها كان له أهمية استراتيجية في الصراع الذي كان قائماً بين الإمبراطوريتين الفارسية، والبيزنطية، ومحاولة كل منهما فرض السيطرة على ميافارقين، ولا سيما أنها كانت تمُثّل حداً فاصلاً بين أراضي الامبراطوريتين (العريني: 1982، ص30).

ويمتاز مناخها بأنها صحيحة الهواء (ياقوت الحموي: 1995، جـ2، ص143)، غير أن ابن حوقل ذكر أن "**في هوائها وخامة**" (ابن حوقل: 1992، ص2002)، ولكونها ليست قريبة من البحر فإنها من المناطق الباردة التي تتساقط فيها الثلوج في فصل الشتاء. ويبعد نهر دجلة عن ميافارقين خمسة وعشرون ميلاً، ويقع شمال المدينة، وذكر المقدسي أن أهل ميافارقين: "**شربهم من عيون ونهر وحلة في الشتاء**" (المقدسي: 1949، ص140)، ويبدو أن المقدسي يقصد بالنهر الوحلة وهو رافد نهر (ساتيدما) المتفرع من دجلة، بالإضافة إلى هذا كانت هناك قنوات لنقل المياه إلى المدينة قام بشقها بعض الأمراء الذين كانوا يحكمون المدينة، وقبل هذه القنوات كان شرب أهل ميافارقين من الآبار، وأول هذه القنوات التي سيقت إلى المدينة هي القناة التي أجراها الأمير سيف الدولة الحسن أبو علي الحمداني أمير الدولة الحمدانية (ت: 356هـ/ 967م) من العين التي في ربض ميافارقين وساقها في وسط المدينة حتى أوصلها إلى القصر العتيق، أما في عهد الدولة المروانية والتي حكمت

---

(1) **الفرسخ**: يساوي ثلاثة أميال. (فالتر هنتس: 1970، ص94).

(2) **الدرجة، والدقيقة**: هي قياسات فلكية للعلماء القدماء تسمى فلك البروج الذي فيه الكواكب الثابتات والمنقسمة من الجنوب إلى الشمال إلى اثنا عشر برجا، وهي الحمل والثور والجوزاء... الخ ثمّ قسمّوا كل برج إلى ثلاثين قسم، وسموا كل قسم منها درجة، وقسّموا كل درجة على ستين دقيقة، وقسّموا الدقيقة على ستين ثانية.

ميافارقين من 380-489هـ/ 990-1096م فقد شقت ثلاث قنوات لإيصال المياه إلى المدينة الأولى قام بحفرها الأمير نصر الدولة بن مروان (ت 453هـ/1061م) لإيصال المياه إلى القصر ومن منطقة رأس العين والتي هي في الربض وكذلك القناة التي شرع بعملها سنة 425هـ/ 1033م رجل من أهل ميافارقين يدعى ابن شليطا، وأدخلها إلى ميافارقين من الجانب الشرقي، أما القناة الثالثة فهي القناة التي ساقها وقام بالصرف على حفرها أحد أعيان تجار ميافارقين الميسورين ويدعى أبو بكر بن جري حيث ساقها من منطقة في طرف المدينة تُسمى عين حنباص، وأدخلها إلى المدينة من الطرف الغربي وأوصلت إلى جامع المدينة لذلك سميت بقناة الجامع (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص271) .

إلى جانب ذلك كانت للأمطار الشتوية أهمية في ري الحاصلات الزراعية كالقمح والشعير، والأشجار، واشتهرت ميافارقين بزراعة البساتين، والفاكهة، والخضر (ناصر خسرو: 1983، ص41؛ ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص292)، وكغيرها من مدن الجزيرة الفراتية كانت الزراعة، والثروة الحيوانية تمثل العمود الفقري لاقتصاد ميافارقين (Encyelopedia of Islam:1936,p. 158)، وعرفت ميافارقين بخصوبة أراضيها، واشتهرت بزراعة القمح، والشعير، وكانت المدينة في القرن 6هـ/12م تضم مئات القرى، والضياع الزراعية، وكانت بعض قراها غنية بوارداتها كقرية العطشا التي كان واردها السنوي يبلغ نحو ثلاثمائة وستين جريب[1]حنطة (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص354)، وكان محصول هذه القرية وقفاً للمحتاجين من الفقراء زمن الدولة المروانية، كما انتشرت فيها زراعة البساتين، والفواكه (ناصر خسرو:1983، ص41؛ ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص354)، واشتهرت أيضاً بإنتاجها الحيواني، والعسل (ناصر خسرو:1983، ص41؛ ياقوت الحموي، 1995، جـ5، ص238).

أما بالنسبة للتجارة فقد كان لموقعها التجاري أثر كبير في تطور التجارة فيها وازدهارها كونها محطة رئيسية على الطريق بين أرمينية والجزيرة الفراتية، وكانت أهم الطرق التي تمر بميافارقين طريق يبدأ من ميافارقين ثمّ إلى آمد ثمّ نحو حلب (ناصر خسرو: 1983، ص44)، وهناك طريق آخر يربط الجزيرة ببلاد فارس ويبدأ بميافارقين وينتهي بمدينة تبريز (ناصر خسرو:1983، ص39)،وقد عرُفت ميافارقين بمركزها التجاري وبكثرة أسواقها، ومن أشهر تلك الأسواق سوق الطعام الذي تباع فيه الخضروات واللحوم وغيرها من الأطعمة، وكذلك سوق البز أو القماش، وهناك سوق العطارين، وسوق الخيل (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص382)، وذكر الفارقي أسماء بعض تجّارها ممن كان لهم دور في اقامة المباني، وظلّت المدينة محتفظة بأهميتها، كسوق للمنتجات الجبلية، والثروة الحيوانية حتى بعد أن فقدت مركزها السياسي سنة 658هـ/ 1260(Encyelopedia of Islam:1936,p.,11).

(1) **الجريب:** هو الوحدة القياسية التي تقاس بها مساحة الأرض الزراعية من اجل تقدير خراج الأرض. والجريب =159م2 أو يساوي 72كغم:(الخوارزمي:1242هـ، ص43؛ فالتر هنتس: 1970، ص16).

2. ميافارقين في ظل الحكم الأيوبي

بعد أن أخضع السلطان صلاح الدين مدن بلاد الشام لسيطرته توجهت أنظاره إلى الجزيرة الفراتية، واستطاع اخضاع الكثير من مدنها المهمة، ومن بينها مدينة ميافارقين التي استولى عليها سنة 581هـ/ 1185م، ولأهمية هذا النصر أرسل بالبشائر إلى نوابه في البلاد يخبرهم بما منّ الله عليه من فتح المدينة، وعمّت الأفراح بهذه المناسبة في جميع البلاد اذ يقول الملك المظفر تقي الدين عمر الذي كان ينوب عن السلطان في حكم مصر: "**وسررنا بما منّ الله تعالى عليه من النصر والظفر**" (ابن شاهنشاه الأيوبي: 1968، ص 222). ويبدو واضحاً أن ميافارقين كانت محط أنظار السلطان صلاح الدين لما لها من موقع استراتيجي مهم في بلاد الجزيرة الفراتية، واستطاع صلاح الدين بعد ذلك من اخضاع ديار بكر ومدن الجزيرة الفراتية لا سيما بعد اقرار الصلح مع عز الدين مسعود صاحب الموصل، وبذلك تمكن صلاح الدين من اكمال مشروعه الذي كان يسعى لتحقيقه، وهو توحيد بلاد مصر، والشام، والجزيرة.

وكان صلاح الدين قد أقطع ميافارقين لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت:587هـ/1191م) الذي أصبح حاكماً عليها سنة 582هـ/ 1186م، وعهد إليه بمهمة حمايتها والدفاع عنها، فرتّب أمورها، وقرّر قواعدها، وعُرف عن تقي الدين عمر شجاعته واقدامه وطاعته لصلاح الدين كما سبق له أن شغل منصب النيابة عنه في مصر، مع ما أضيف له من مدن شامية مثل اللاذقية، وحماة، ومعرة النعمان، ومنبج (ابن واصل: 1957،جـ2، ص182)، واستطاع بعد ذلك أن يوسع نفوذه في إقليم الجزيرة الفراتية عندما تمّ التنازل له عن مدن حران، والرها، وسميساط التي تنازل عنها مظفر الدين كوكبوري سنة 586هـ/1190م مقابل اعتراف صلاح الدين بسلطته على أربل، وشهرزور (ابن الأثير:1966،جـ12،ص532)، وكان على وشك أن يمد نفوذه إلى مدن أخرى مثل ملاذكرد [1] التي تمكن من فرض الحصار عليها سنة 587هـ/ 1191م لولا أن المنية عاجلته بعد مرض الم به أثناء ذلك الحصار، وكان في صحبته ابنه المنصور محمد فأخفى موت أبي، ودفنه في ميافارقين، ثمّ نقله إلى حماة ودفن بها (أبو الفداء:1325هـ، جـ3، ص80؛ ابن شداد:1962، ص197).

ثمّ أقطع صلاح الدين ميافارقين وسائر مدن الجزيرة الفراتية مثل حران، والرها، وسميساط، والرقة، وقلعة جعبر، وديار بكر إلى أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر فضلاً عما كان بيده من مدن الشام (سبط بن الجوزي:1952، ج .8. ق1، ص435؛ ابن واصل: 1957، جـ2، ص378)، الذي استطاع بحنكته، ودهائه السياسي من ملء الفراغ السياسي، والعسكري الذي تركه وفاة صلاح الدين سنة 589هـ/ 1193م ومواجهة الأخطار الداهمة التي واجهت نفوذ الأيوبيين في بلاد الجزيرة من ذلك على سبيل المثال محاولة عزالدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الذي استغل وفاة صلاح الدين من أجل اعادة ميافارقين والمدن الجزرية، إلا أن محاولته باءت بالفشل (ابن واصل:1957، جـ3، ص19).

(1) **ملاذ كرد:** بلدة مشهورة بين خلاط وبلاد الروم تعد من أرمينية. (ياقوت الحموي:1995، جـ5، ص102).

وقد بقيت ميافارقين تحت نفوذ الملك العادل حتى سنة 596هـ/ 1199م، ثمّ أصبحت بعد ذلك تحت نفوذ ابنه الملك الأوحد نجم الدين أيوب الذي رفض تسليمها لابن عمه الملك الأفضل علي بموجب الصلح الذي عقد بين الملك العادل والأفضل علي (ابن واصل:1957، جـ3، ص116؛ الحنبلي:1978، ص210)، والذي امتد حكمه لميافارقين حتى وفاته سنة 609هـ/ 1212م، ثمّ أعقبه في إدارة المدينة كل من الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل (618-609هـ/ 1212-1221م) (ابو الفداء: 1325هـ، جـ3، ص121)، ومن بعده أخوه الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل والذي امتد حكمه لأكثر من عقدين (618-645هـ/1221-1247م)، وقد وصف بالشجاعة، ورجاحة العقل، والتقوى، والتمسك بالدين (الذهبي: 1948،جـ5،ص187؛ ابن كثير: د/ت،جـ13،ص174) تمكن خلال فترة حكمه من توسيع نفوذ ميافارقين، لا سيما بعد تصديه لخطر الخوارزميين الذين هددوا مدن الجزيرة الفراتية مستغلين الخلافات الداخلية للأيوبيين، إلا أن الملك المظفر غازي تمكن من ايقاف خطرهم بمساندة عدد من الملوك الأيوبيين ومنهم الملك الأشرف موسى، وكذلك الملك الكامل ناصر الدين محمد صاحب مصر الذي أرسل اليه نحو سبعة الألف فارس، فضلاً عن دعم كيقباذ بن كيخسرو ملك الروم له، وبالفعل تهيئت الفرصة له لإلحاق الهزيمة بقوات جلال الدين خوارزم شاه في المعركة الفاصلة التي وقعت بينهما في مدينة خلاط في شهر رمضان من سنة 627هـ/1229م، وكان من نتائجها دخول القوات الأيوبية لمدينة خلاط، وأرزن (ابن شداد: 1978، جـ3، ق2، ص457؛ ابن الأثير:2007، جـ12، ص492).

ويبدو أن مدينة ميافارقين، كغيرها من مدن الجزيرة الفراتية، ومدن بلاد الشام لم تشهد استقراراً سياسياً بسبب الخلافات، والحروب بين الأيوبيين، كما شكّلت الغارات المستمرة للخوارزميين، والتتار وغيرهم مصدر تهديد للأمن والاستقرار لمدينة ميافارقين، وغيرها من مدن الجزيرة الفراتية، وكانت سبباً في نشر الخراب والدمار الذي لحق بتلك البلاد.

وبعد وفاة الملك المظفر شهاب الدين غازي سنة 645هـ/ 1247م تولّى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمد حكم وإدارة ميافارقين وبقي يحكمها حتى دخول المغول للمدينة سنة 658هـ/ 1259م. وقد عرف عن الملك الكامل بأنه كان من أبرز الملوك الأيوبيين الحريصين على التصدي للغزو المغولي، ففي سنة 656هـ/1258م عندما دخلت قوات المغول بلاد الجزيرة الفراتية، وأصبحوا على مشارف ميافارقين أرسلوا رسولهم إلى الملك الكامل يدعونه إلى الاستسلام، والطاعة وعدم المقاومة إلا أنه رفض دعوتهم، مؤكداً اصراره على المقاومة، وأنه لا يثق بوعودهم، ولا يخشى جيوشهم الجرارة، وأن السيف هو الحد الفاصل بينهم طالما بقي حياً، وتروي المصادر أن الملك الكامل أخذ يستعد للمواجهة بأن جمع وجهاء ميافارقين، وعامة الناس واتفق معهم على قتال المغول، وخاطبهم بالقول: "**سوف لا أبخل عليكم بالذهب والفضة والغلال الموجودة في المخازن، وساؤثر بها كلها للمحتاجين، فاني بحمد الله لست كالمستعصم عبداً للدينار، والدرهم الذي طوح برأسه وبملك بغداد بسبب بخله وشحه**" (الهمذاني:د/ت، ص319-320).

وهكذا فإن قرار المقاومة، وعدم الاستسلام قد شكّل تحدياً كبيراً للمغول الذين لم يجدوا أمامهم خياراً سوى فرض الحصار على ميافارقين، ونصب المنجنيقات عليها من كل جانب على أمل أن يجدي ذلك نفعاً في تثبيط معنويات أهلها، ولما رآى المغول طول مدة الحصار وعدم جدوى القتال لجأوا إلى ايقافه وقاموا ببناء سور كبير حول المدينة وحفروا خندقاً عميقاً ليحكموا السيطرة عليها وليمنعوا الدخول إليها أو الخروج منها (ابن العبري:1967، ص277؛ أبو الفداء:1325هـ، جـ3، ص196). وقد أسهم الأرمن في هذا الحصار إلى جانب المغول (عاشور:1986، ص889)، مما أدى إلى احتلالهم للمدينة بعد سنتين من الحصار العنيف، والصمود، والمقاومة الباسلة لأهلها، وتحملهم المشاق، ومعاناتهم بسبب الحصار، وتفشي المجاعة، ووقوع الأوبئة (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص502)، وبعد دخول المغول للمدينة قبضوا على الملك الكامل، وتسعة من مماليكه ليتم تصفيتهم (اليونيني:1954، جـ1، ص91)، وبذلك تلاشى حكم الأيوبيين على بلاد الجزيرة الفراتية لتبدأ مرحلة جديدة عاشتها المنطقة في ظل سيطرة المغول.

3. خطط ميافارقين، ومنشأتها العمرانية

من المعلوم أن مدينة ميافارقين هي احدى مدن ديار بكر القديمة، ويعود انشائه إلى العهد الروماني، وخلال عهودها الإسلامية حدثت تغييرات كثيرة فيما يتعلق بتخطيطها العمراني، إلا أنه من الصعب الوقوف بدقة على تخطيط المدينة، ومنشأتها العمرانية، وذلك لقلة ما كتب عنها في هذا الصدد، ويمكن القول أن الأحداث السياسية، والحربية وتوالي حكم الدول والإمارات الإسلامية، كالإمارة المروانية، والأراتقة، ثمّ الأيوبيون حتى الغزو المغولي قد ألقى بظلاله على الجوانب العمرانية، حيث حصلت تغييرات مستمرة في معالمها سواء من ناحية تدمير الكثير من تحصيناتها الدفاعية، أو من ناحية التوسع في الحركة العمرانية فيها، وقد تنّبه ابن شداد إلى حقيقة هذه التغييرات المستمرة عند حديثه عن المعالم العمرانية للمدينة حيث أفرد عنواناً خاصاً بذلك: "**ذكر ما جُدِد فيها من العمائر بعد الفتح**" (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص269).

ومن خلال وصف المصادر يبدو أن المدينة كانت مستطيلة الشكل، يبلغ طولها أربع وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة (ياقوت الحموي:1995، جـ5، ص236)، أما عن بناء دورها وعماراتها فذكر ابن حوقل النصيبي بأنها كانت مُكتظة العمارة وضيقة الأسواق(ابن حوق:1964، ص202)، كان لها سور كبير يحيط بها، وخندق عميق، وأبواب وأبراج، فضلاً عن المنشآت الأخرى، وقد ألقى الفارقي (ت: 573هـ/ 1177م) ضوءاً على مدينة ميافارقين التي عاش فيها، فقال أنّ فيها قصراً جميلاً يقع على جانب النهر يعود بناءه إلى الأمير نصر الدولة المرواني، وفيها الأسواق، والحمامات، والدور، وهناك دولاب على النهر يزود المدينة بالمياه، وفيها جامع كبير(الفارقي: 1959، ص141).

وحسبما ذكره ابن شداد يمكن تقسيم مدينة ميافارقين إلى ثلاثة أقسام الأولى مدينة ميافارقين (القديمة)، ومدينة النصرية التي بناها نصر الدولة المرواني، والثانية مدينة المحدثة، وحّدد ابن شداد موقعها في شمال

ميافارقين من جهة القبلة أطلق عليه تسمية الربض (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص275-276)، ولكل منها معالم عمرانية خاصة بها كالجوامع، والمساجد والحمامات، والأسواق، والخانات، والجسور، وغيرها (ابن شداد:1978، جـ3ق1، ص 275،273، 276).

ويمكن القول أن مدينة ميافارقين كانت عبر التاريخ مسكن، ومُلتقى للأقوام، والأديان، والمذاهب التي عرفتها الجزيرة الفراتية، إذ ساعدت طبيعتها على جذب الأقليات التي قصدتها من المناطق المجاورة طلباً للعمل سواء في الزراعة، أم التجارة، أم طلباً للحماية وغيرها، وكانت في العصر الأيوبي تضم قوميات مُتعددة كالكرد، ومن قبائلهم نذكر الحميدية، والهكارية، والهذبانية، والدوستكية، ومن سكانها أيضاً العرب، ومن أشهر قبائلهم هناك قبيلة بكر بن وائل وبنو حمدان، كما سكنها التركمان، كالأراتقة (ياقوت الحموي: 1995، جـ2، ص561).

وكان المسلمون يشكّلون غالبية السكان في ميافارقين مع وجود أقليات دينية أخرى كالنصارى الذين أسهموا بجهود كبيرة في إعمارها، واشتهرت ميافارقين بالكنائس، والأديرة، منذ القدم (ياقوت الحموي:1995، جـ2، ص534؛ ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص267)، واشتغل عدد من أبنائها في الطب، وكانوا محل رعاية الأيوبيين، ومنهم الطبيب حسنون النصراني الرهاوي الذي كان يتنقل بين ميافارقين، والرها، وآمد، وقد أدى خدمة كبيرة للسكان في مهنته (القفطي:1326هـ، ص67-68)، كما اشتغل الكثير من النصارى في ميادين الحرف، فكان منهم من العطارين، والصاغة، والجهابذة والصيارفة، وكسبوا أموالاً كثيرة، وكانوا من أهل الجاه (ابن الفوطي:1351هـ، ص67). كما كان يسكنها اليهود الذين كانوا يتواجدون ويتجمعون في زقاق سمي باسمهم (ياقوت الحموي:1995، جـ5، ص238)، وفيما يلي عرض لأبرز معالمها العمرانية في العصر الأيوبي:

1.3. أسوار ميافارقين، وأبوابها، وأبراجها

تعد مدينة ميافارقين من المدن المسورة شأنها شأن المدن القديمة، إذ شكّل هذا السور حماية المدينة ضد اي اعتداء خارجي يقع عليها، وقد وصفها الرحالة ناصر خسرو بقوله: " **ميافارقين محاطة بسور عظيم من الحجر الأبيض الذي يزن الواحد منه خمسمائة من** [1]، **وعلى بعد خمسين ذراعاً من هذا السور برج عظيم من الحجر نفسه، وفي أعلاه شرفات، وهي من الدقة بحيث تقول إن يد بناء ماهر أكملها اليوم**" (ناصر خسرو: 1983، ص41).

وبما أنّ الأسوار هي وسائل الدفاع الجماعية التي تصد الهجمات الخارجية، فقد تعرضت أسوار المدينة إلى التخريب أكثر من مرة ، وذلك بسبب الحروب المستمرة، ومحاولة القوى الخارجية في السيطرة على ميافارقين، وقد تمّ ترميم أسوارها أكثر من مرة، فعلى سبيل المثال أثناء ولاية أبا علي الحسن بن علي التميمي على المدينة قام بترميم ما خرب من سورها، وكتب عليها اسم عضد الدولة البويهي (ابن شداد:1978،جـ3،ق1،ص272)، كما قام سيف الدولة الحمداني بتعمير، وتجديد سور المدينة (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص301)، وأثناء

(1) **المن**: من المكاييل المعروفة ويعادل رطلان وجمعه امنان. (الرازي:1967، ص299).

حكم المروانيين للمدينة كان لأمرائها لا سيما نصر الدولة المرواني دور مشرّف في تعمير أسوارها التي كانت قد تهدمت من مواضع عديدة "**فبناها، ووقف على السور وقفاً من ضياعٍ وغيرها** ..." (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص353، 361). ومن الأمور التي ساهمت في حصانة أسوار ميافارقين هي أن أهلها كانوا يستخدمون قضبان الحديد بين صخور جدران السور (ابن شداد: 1978، جـ3ق1، ص267).

كذلك أولى الأيوبيون اهتماماً كبيراً بترميم أسواره المدينة لحمايتها من هجمات القوى الخارجية كالخوارزمية، والمغول، وغيرهم، وكانت أسوار ميافارقين، وأبراجها قد تعرضت سنة 581هـ/1185م إلى التدمير بالمجانيق من قوات الناصر صلاح الدين الأيوبي لماّ عزم السيطرة عليها عندما كانت خاضعة لحكم قطب الدين ايلغازي، إذ امتنعت عن التسليم لقوات صلاح الدين في بادئ الأمر مما دفعه إلى استخدام القوة للسيطرة عليها، وهذا ما أدى إلى تعرض أسوارها، وأبراجها إلى التخريب، إلا أن هذه الأسوار سرعان ما تمّ ترميمها بعد السيطرة على المدينة من القوات الأيوبية (ابن واصل:1957، جـ2، ص170).

وفي سنة 657هـ/ 1259م تعرضت أسوارها، وأبراجها مرة اخرى إلى الدمار، والتخريب أثناء الاعتداءات الوحشية التي قام بها المغول، فأمر الكامل ناصر الدين محمد بإعادة بناءها خلال المدة المؤقتة التي رحلت عنها القوات المغولية عندما تعرضت للبرد، وتفشي الأوبئة، والأمراض بين صفوف القوات، إذ أن اعادة بناء تلك الأسوار كان من أولويات اهتمام أبناء المدينة، لأنها كانت في حالة مواجهة عسكرية مُستمرة مع القوات المغولية الغازية (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص500).

ويبدو أن الملك الكامل ناصر الدين محمد بات مُدركاً أن سور المدينة الذي مضى عليه زمن طويل، وتداعت أجزاء منه أصبح لا يلبي الحاجة الدفاعية في ظل الغارات العنيفة المستمرة من المغول، لذلك صّمم على بناء سور أخر حول المدينة أصبح فيما بعد يشّكل أحد الحصون الدفاعية المهمة لها، وبهذا أصبحت هذه الأسوار موضع اهتمام الأمراء الأيوبيين الذين تعاقبوا على حكم المدينة لتأمين حمايتها ضد هجمات الأعداء، وكان يلي هذا السور خندق عميق، كان يغمر بالمياه لعرقلة غارات الأعداء، ومنعهم من الوصول إلى داخل المدينة، وكان هذا الخندق يدور حول المدينة بشكل كامل، وقد أمر بحفره الملك الكامل ناصرالدين محمد خلال تعرضها للغزو المغولي سنة 657هـ/ 1259م (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص500)، ومادة بناء ذلك السور هي من الحجر الأبيض (ناصر خسرو:1983، ص41).

وفيما يخص مدى حصانة تلك الأسوار، فيظهر من حصار المغول لها مدة تقارب السنتين 657هـ/ 1259م إذ أن الفشل الذريع قد أصابهم من النيل منها بسبب أسوارها المنيعة، وارتفاعها بما يكفي، لذلك لم يستطع المغول أثناء حصارهم العنيف اختراق تلك الأسوار، أو الصعود إليها إلا بعد أن نصّبوا عليها عدداً كبيراً من السلالم، وبعد احتلالهم للمدينة قاموا بتدمير أجزاء كبيرة من أسوارها (ابن شداد: 1978، جـ3، ق2، ص502-503).

أما **الأبراج** [1] فكانت كثيرة لما لها من أهمية دفاعية إذ ذكر ابن شداد الذي زار المدينة أن عدد أبراج سورها "**اثنين وأربعين برجاً**" (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص275)، يعود بناء بعضها إلى العهد الروماني، نذكر منها: برج الرومية، وبرج الزاوية، وبرج علي بن وهب، وبرج باب الربض ،والبرج القبلي الذي يرجع بناءه إلى الوالي أحمد بن عيسى بن الشيخ سنة 273هـ/ 886م، واسمه مكتوب عليه (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص269)، وقد أشار الرحالة ناصر خسرو إلى المسافات التي كانت تفصل بين هذه أبراج سور ميافارقين، فقال: "**وعلى بُعد كل خمسين ذراعاً من هذا السور برج عظيم من الحجر نفسه، وفي أعلاه شرفات**" (ناصر خسرو:1983،ص41) كانت تبنى لرمي السهام، وأشار ابن شداد إلى وجودها في اكثر من موضع من كتابه، فمثلاً عند ذكره لحصار المعتضد للمدينة أمر بهدم شراريفها، وفي عهد الدولة المروانية رممت من جديد (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص331)، وفي موضع آخر، وأثناء حديثه عن انسحاب المغول من المدينة بشكل مؤقت أشار إلى قيام أهالي المدينة ببناء الشراريف على أسوار ميافارقين (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص500).

وكانت وظيفة هذه الأبراج تقوية سور المدينة، إذ كانت تشحن بالمقاتلين لمقاومة المعتدين الذين يحاولون الدخول إليها، والعمل على تخريبها (الهمذاني:د/ت، ص320)، وتختلف أشكالها من مدينة إلى أخرى، فهناك الدائرية، والنصف دائرية، وظيفتها مراقبة العدو، وكانت مادة بناء تلك الأبراج من الحجر الأبيض نفسه الذي بنيت منه الأسوار(لسترانج:1954، ص43).

وقد كان للمدينة **ثمانية أبواب** قديمة، يعود بناءها إلى العصر الروماني (ياقوت الحموي:1995، جـ5، ص237؛ القزويني: د/ت، ص565)، وذكر ابن شداد تلك الأبواب، ومُسمياتها، مثل باب ارزن، وعُرِف أيضاً بباب الجنائز، وباب قلوفح، وحدد موقع الباب عند برج الطبالين، ويسمى أيضاً باب المرآة، وباب الشهوة، وباب الجبل، وباب آخر لم يُسمه المؤلف، فقط حدد موقعه بالربض، وأيضاً بين البرجين، وهناك باب آخر أطلق عليه باب الفرح، والغم (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص267)، ويبدو جلياً أن هذه الأبواب لم تبقَ على حالها حيث تعرضت مثل غيرها من العمائر للدمار، والتخريب، وأزيل البعض منها، فعند زيارة ابن شداد للمدينة سنة 657هـ/ 1259م لم يشاهد سوى أربعة أبواب هي: باب المحدثة باتجاه الجنوب، والباب الجديد الذي يقع عند القصر في شرقي المدينة، أما الباب الآخر فهو باب الربض في الجهة الغربية، وقد أشار الرحالة ناصر خسرو إلى هذا الباب، وذكر أن له عتبة عليها طاق حجري ركبّ عليها باب من الحديد (ناصر خسرو: 1983، ص41)، بينما يقع الباب الأخير وهو الرابع في الجهة الشمالية، ويفتح من القصر، لذلك سمي بباب القصر العتيق أو الباب

(1) **الأبراج**: البرج في اللغة تباعد ما بين الحاجبين وكل ظاهر مرتفع برج، وهو عبارة عن بناء حربي مربع أو مستدير الشكل يبرز عند الجدار والاسوار ويحتوي البرج على مساقط ومراقب لرمي السهام، وعادة يكون حجمها صغيرا لتعددها فقد كانت تقوم بدور رئيسي في الدفاع وهي التي تكون خارجة عن الاسوار الملتصقة بها وبارزة ومتباعدة بعضها عن بعض بمسافات مقدرة، بالنسبة إلى مرامي الأسلحة. (ابن منظور:2004، مج1، ص184.185؛ ميرفت عثمان: 2010، ص91-92).

الشمالي (ياقوت الحموي: 1995، جـ5، ص235؛ ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص275)، وكانت هذه الأبواب تفتح، وتغلق حسب الضرورة خاصة عند الأزمات، فعلى سبيل المثال عندما تعرضت ميافارقين إلى حصار المغول عهد الملك الكامل محمد إدارة بعض هذه الأبواب إلى أحد كبار أمراءه، وهو سابق الدين لاجين (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص502)

2.3. القلعة

تعد القلعة[1] من أهم التحصينات الرئيسية في المدينة، وتشّكل مركز الدفاع عنها إذ تضم في داخلها الجنود، والسلاح والمعدات الحربية الأخرى، وكانت موضع عناية الملوك الأيوبيين لما لها من أهمية عسكرية، إذ أنفقوا عليها أموالاً كثيرة (التكريتي:1981، ص397)، وكانت هذه القلاع تصمد بوجه الاعتداءات الخارجية التي تقع عليها، وذلك بفعل الحاميات التي تستبسل في الدفاع عنها، أما مسؤول هذه القلعة، أو الشخص الذي يتوّلى إدارتها فكان يختار من بين كبار الأمراء المعروفين الذين لديهم خبرة كبيرة في شؤون الحرب، فقد كان المتسلم لباب قلعة ميافارقين في عهد الملك الكامل ناصر الدين محمد وفي أثناء وقوع الهجوم المغولي عليها هو الأمير سابق الدين لاجين (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص502)، ولا تتوفر لدينا معلومات دقيقة وكافية عن هذه القلعة.

ويبدو أنه كان هناك أكثر من قلعة، أو حصن بالقرب من ميافارقين، مثل قلعة السناسنة التي أعطيت للمغول مقابل فك الحصار عن ميافارقين في عهد الملك الكامل ناصر الدين محمد (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص502)، فضلاً عن الحصون الدفاعية المهُمة مثل حصن ذي القرنين الذي كان يقع شمال المدينة (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص783)، وحصن الهتاخ الذي أقطعه السلطان صلاح الدين إلى زوجة قطب الدين عند استيلائه على ميافارقين سنة 581هـ/ 1185م (ابن واصل:1957، جـ2، ص170)، وكان أبناء ميافارقين يخرجون للصيد في أيام الربيع إلى حصن الهتاخ القريب من ميافارقين والمطل على مروج وأراض مزهرة فيمارسون هناك هواية الصيد، فضلاً عن المأكولات والمشروبات التي تقدم بهذه المناسبة (الفارقي: 1959، ص88).

3.3. الجوامع، والمساجد

تعددت المنشآت الدينية في ميافارقين، إذ تمُثل الجوامع والمساجد الأساس الأول من هذه المنشآت، وكان لها أثر كبير في تلبية حاجات المجتمع الدينية، والتعليمية، فضلاً عن ذلك فقد كانت مركزاً لبحث الشؤون السياسية، والدينية، والتربوية، والاجتماعية (عثمان: 1988، ص234)، ومع امتداد العمران، وارتفاع كثافة السكان في ميافارقين في العصر الأيوبي باتت الحاجة ملحة لإنشاء المزيد من الجوامع، والمساجد فيها، فقد ذكر ابن شداد

(1) **القلعة:** عرفها ابن منظور بأنها ((الحصن الممتنع في الجبل وجمعه قلاع)) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج3، ص151؛ وأشار أحد الباحثين بان القلعة هي استحكام حربي يبنى في منطقة استراتيجية كالجبل أو تل أو روابي أو على سواحل البحار ومهمة هذه المباني قاصرة على المراقبة والدفاع ضد أي اعتداء خارجي، وهي بالضرورة لابد من ان تتكون من مجموعة من الأبراج والمراقب، كما تمتاز بأن ساكنيها من العسكر والجند فقط ولا يقيم المدنيون بها. (ميرفت عثمان: 2010، ص91).

بأن عدد المساجد في ميافارقين أصبح يناهز المائتي مسجد (ابن شداد:1978، جـ3. ق1، ص277)، وهو عدد مبالغ فيه الا أنه دون شك دليل على كثرة المساجد فيها، من بينها ثمانية مساجد يزعمون أنها عمّرت من بعض الصحابة، وهي مسجد خزيمة، ومسجد الطائي، ومسجد إبراهيم، ومسجد الخنادقي، ومسجد ياسين، ومسجد أبي خالد، ومسجد حرملة، ومسجد علي بن ابي طالب، كذلك كان هناك مسجدين آخرين هما مسجد عتري، ومسجد الصخرة (الهروي:2002، ص59).

كما أشار ابن شداد أنه كان بميافارقين ثلاثة جوامع، غير أنه لم يقدم تفاصيل عنها، بل وحتى لم يحدد الجامع الرئيسي في المدينة، ومن هذه الجوامع ،جامع بني مروان، أو الجامع الكبير الذي بناه الأمير نصر الدولة بن مروان (378-480هـ/ 988-1087م)، وظلّ يعرف بهذا الاسم حتى القرن 7هـ/ 13م (ابن شداد:1978،جـ3. ق1،ص354)، وقد سبق للرحالة ناصر خسرو أن وصف هذا الجامع بأنه من أهم جوامع المدينة، وأكبرها، وأنه لو أراد وصفه بالتفصيل لاستغرق منه صفحات، وقال أن: "**للميضاء التي عملت بهذا المسجد أربعين مرحاضاً تمر أمامها قناتان كبيرتان الأولى ظاهرة يستعمل ماؤها، والثانية وهي تحت الأرض لحمل الثقل وللصرف**"(ناصر خسرو:1983، ص41)، أما الجامعان الآخران اللذين أشار اليهما ابن شداد فهما :جامع المحدثة، وجامع الراضي نسبة إلى الخليفة العباسي الراضي بالله (322- 329هـ/ 934- 940م) (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص354) دون أن يقدم تفاصيل عن هذه الجوامع، وملحقاتها من المنابر، والقبب، والمنائر، سوى اشارتين فقط، الأولى ذكر أن حاكم ميافارقين أحمد بن عيسى الشيخْ المتوفى سنة 285هـ/ 898م بنى منارة الجامع، ودّون تاريخ بناءها بسنة 273هـ/886م (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص269)، والأخرى تعود للعهد الأرتقي حيث تعرضت الجهة القبلية من الجامع للهدم سنة 549هـ/1154م فعُمّرت مرة أخرى (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص275)، ويبدو من الاشارتين أن ابن شداد قصد بذلك الجامع الرئيسي في المدينة الذي حدد موقعه بالميدان، وكانت ست الملك بنت نصر الدولة المرواني قد بنت قبة إلى جانب هذا الجامع سنة 456هـ/1063م، ونَقلتْ جثمان والدها إلى تلك القبة (ابن شداد:1978،جـ3، ق1، ص366،274).

وكان لهذه الجوامع خزائن كتب تضم الكتب التي كانت وقفاً من قبل العلماء وأهل الخير، فعلى سبيل المثال كان بجامع ميافارقين الكبير خزانة كتب باسم المنازي اشارة إلى واقفها الوزير الأديب أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المعروف بابن المغربي الذي سبق وأن تولّى الوزارة لصاحب ميافارقين أحمد بن مروان (ت: 418هـ/ 1027م) (ابن خلكان:1977، جـ3، ص131-132).

ومما لا شك فيه أن هذه الجوامع، والمساجد كان لها دور كبير في الحركة العلمية، فضلاً عن كونها مراكز للعبادة، ومُلتقى لحث الناس على الجهاد فقد اتخذ الملك الكامل ناصر الدين محمد من جامع ميافارقين منبراً للتعبئة، وحث الناس على قتال التتار في حصارهم للمدينة سنة 657هـ/ 1259م فكان ينزل إليهم في كل جمعة ويجتمع بهم في الجامع، ويدعوهم للقتال (ابن شداد:1978،جـ3،ق1،ص509)، ومن العلماء الذين تولوا التدريس بجامع ميافارقين الحافظ سراج الدين أبو محمد عبدالرحمن بن عمر الذي توفي سنة 643هـ/ 1245م (ابن العماد

الحنبلي: د/ت، جـ3، ص220)، وعمر بن علي بن أبي بكر بن محمد المنعوت بالرضي توفي سنة 669هـ/ 1270م (القرشي:د/ت، جـ1، ص394).

4.3. الخانقاهات، والربط، والزوايا

تمثل الخوانق، والربط، والزوايا، مراكز للصوفية كما كانت من المؤسسات التعليمية والثقافية في ميافارقين التي لازم ظهورها المدارس وزادت أعداد هذه المنشآت زيادة واضحة في العصر الأيوبي، فقد كانت مركزاً للتصّوف الديني لتربية المنتظمين إليه فأنها تؤدي واجب المسجد، أو المدرسة، وبذلك تداخل واجب المسجد، والمدرسة، والخانقاه، والرباط فكانت مكاناً للتعبد، ومركزاً للتعليم (عثمان: 1988، ص243)، وأن مهمتها لم تكن مقصورة على التعبد، والتزهد بل كانت أيضاً مراكز للتدريس، والتأليف، والتصنيف، والاقراء، والاجازة، وقد تزايد عدد هذه الخوانق، والربط بتشجيع من الحكام، وأهل الخير، وكان من عادة الواقف أن يجعل فيها مجموعة من الكتب للمطالعة (جواد مصطفى: 1954، ص 224)، كما كانت تلك المؤسسات منازل يحط فيها العلماء، وطلبة العلم رحالهم فيها أثناء سفرهم، واشتهر روادها بحسن الأخلاق إلى جانب اشتهارهم بالورع، والزهد (الحارثي:2007، ص421).

والزوايا "**مأخوذة من الفعل انزوى ينزوي، وبمعنى اتخذ ركناً من أكان المسجد للاعتكاف والتعبد**" (حسن:1967، جـ4، ص423)، وهي تعني مكان اجتماع أصحاب الطرق من الصوفية، والزهاد (شاكر مصطفى: 1988، جـ2، ص 285)، ويرى البعض أن الزاوية هي الخانقاه الواقعة خارج المدينة (جواد مصطفى: 1954، ص219)، وقد وجدت هذه الزوايا في جوامع ميافارقين، وفي ربضها، وكانت مراكز علمية متقدمة أسهمت في ازدهار الحركة الفكرية ولا سيما في العلوم الدينية.

5.3. الأديرة، والكنائس

كان يسكن في ميافارقين بالإضافة إلى المسلمين اليهود، والنصارى، وكان لهم بها عدد من المعابد، فقد أشار ياقوت الحموي أن اليهود كانوا يتواجدون في زقاق سمي باسمهم، وبالقرب منهم كنيسهم (ياقوت الحموي: 1995، جـ5، ص238)، كما كان للنصارى عدد من الكنائس، والأديرة، والبيع جاء ذكر بعضها في كتاب الأعلاق الخطيرة لابن شداد، نذكر منها: بيعة التل مقابل حمام النجارين، وكانت قد هدّمت، ولم يبقى منها سوى أثارها، والبيعة المدوَرة، وصفها ابن شداد بأن فيها من الطلمسات ما لا يوصف (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص265)، وبيعة الملكية، التي بنى عليها الأمير نصر الدولة المرواني قصره، وبستانه (ابن شداد: 1978، جـ3، ق1، ص273)، كما ذكر ابن شداد بيعة اخرى يرجع تاريخها إلى عهد المسيح عليه السلام، وذكر بأنه لم يبقَ منها أثر سوى حائط واحد باق إلى أيامه (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص260).

كما كان في ميافارقين عدد من الأديرة، نذكر منها: دير برقوما، وكان له قدسية كبيرة عندهم، ولهم فيها مناسبة سنوية يجتمعون للعبادة، وتقديم النذور (الشابشتي:1951، ص197؛ ياقوت الحموي: 1995، جـ2، ص534)، ودير عباد الذي يقع فوق قمة جبل حرم عباد شمال المدينة (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص267)،

فضلاً عن أديرة اخرى في ذلك الجبل شبهها ابن شداد بـ (الحصون) لمناعتها، وكانت معمورة بالرهبان (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص276).

6.3. المدارس

إهتم الأيوبيون في ميافارقين بالمدارس اهتماماً كبيراً لما لها من أثر في تنشيط الحركة الفكرية، ومن هؤلاء الملوك والأمراء الملك الأشرف موسى بن العادل، وأخوه الملك المظفر شهاب الدين غازي 617-645هـ/ 1220-1247م الذي أنشأ المدرسة الحنفية في ميافارقين (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص276).

ولم يكن الاهتمام بالحركة الفكرية في ميافارقين مُقتصراً على الملوك الأيوبيين وحدهم، وإنما شاركهم آخرون في ذلك فقد أنشأ الوزير فخرالدين عثمان بن محمد المعروف بابن الفقاعي (ت:657هـ/ 1259م) مدرسة للفقه الشافعي، وتوّلى التدريس فيها (ابن شداد:1978،جـ3،ق1،ص276)، وذكر ابن شداد مدرسة ثالثة أنشأت في ميافارقين، دون اعطاء أية تفاصيل عن مؤسسها وشيوخها، بل أشار فقط إلى موقعها، وهي بالقرب من باب جامع المدينة، وأنها خاصة بأصحاب المذهب الحنبلي (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص276)، وبذلك تعددت انتماءات المدارس في المدينة وفقاً للمذاهب المختلفة (محمد علي كرد: 1928، جـ6، ص69)، ويبدو أن الفقه الشافعي، والحنبلي قد لقي قبولاً لدى ملوك ميافارقين.

ومن الجدير بالذكر أن مدارس ميافارقين كغيرها من المدارس الأيوبية قد تمتعت بنظام إداري، وتعليمي دقيق، ضمن لها الاستمرار في أداء دورها، ووظيفتها العلمية، حيث كان يوجد في كل مدرسة هيئة إدارية منظمة تتمثل في ناظر الوقف [1]، والقيم [2]، والمؤذن، والبواب [3]، فضلاً عن الهيئة التعليمية التي تتمثل بـ(المدرسين)، و(المعيدين) [4]، والفقهاء (الطلاب)، وكان عدد الطلاب يتباين من مدرسة إلى أخرى حسب حجم المدرسة، وواردها من الوقف.

ومن الجدير بالذكر أن الحركة العلمية في ميافارقين قد لاقت دعماً، وتشجيعاً كبيراً من قبل حكامها الأيوبيين، والذين لم تثنهم مشاغلهم الحربية عن الاهتمام بالجانب العلمي، والمشاركة في مجالس العلماء، والفقهاء وحضور المناظرات العلمية التي كانت تدور فيها المناقشات والأحاديث، ومن هذه الاهتمامات حضور الملك الأشرف سنة 613هـ/ 1216م مجلس مناقشة كتاب روح العارفين الذي أرسله الخليفة الناصر لدين الله إليه، إذ كان يشتمل على أحاديث نبوية شريفة يرويها الخليفة بنفسه بأسانيد عالية، وعرضه الأشرف موسى على العلماء

---

(1) **ناظر الوقف:** هذا المنصب يشبه مدير المدرسة حالياً ، ومن أهم مهماته أن يقوم بعمارة المدرسة وشراء لوازمها من الزيت والمصابيح والحصر والبسط، وصرف رواتب المدرسين والفقهاء والقيم والمؤذن. وللناظر راتب معلوم من أموال الوقف مقابل تعبه وخدمته واشرافه للأملاك الموقوفة. (الحازمي: 1421هـ، جـ1، ص329-330).

(2) **القيم:** وهو من يقوم بكنس المدرسة، ورشها، وفرشها، وتنظيفها وإيقاد المصابيح. (الحازمي: 1421هـ، جـ1، ص331).

(3) **البواب:** هو الشخص المسؤول عن فتح وغلق باب المدرسة، ومن حقه المبيت بقرب الباب. (السبكي:2007، ص110).

(4) **المعيدون:** هو من يعيد الدرس على الطلبة بعد انصراف المدرس، فهو أقل رتبة من المدرس. (السبكي:2007، ص88).

الذين هم في خدمته، وأمرهم أن يقوموا بشرحه، فلم يستطيعوا، فأشار إلى سبط بن الجوزي الذي كان يحضر المجلس فشرحه (أبو شامة:1947، ص93)، كما عرف عن الملك المظفر شهاب الدين غازي اهتمامه بالحركة الأدبية، فقد كان ينظم النثر بنفسه، ويحضر المجالس، وينشد الأشعار، ويحكي الحكايات (سبط بن الجوزي:1951، جـ 8، ق2، ص 768).

7.3. الأسواق

يعد سوق المدينة مرآة حياتها الاقتصادية، وعنوان نشاطها التجاري، وأن وجود هذه الأسواق هو امتداد لما كانت عليه في السنوات السابقة، وقد وصف ابن حوقل أسواق ميافارقين بأنها كانت ضيقة (ابن حوقل:1964، ص202)، ومع توسع المدينة شُيدت أسواق أخرى في أطرافها لسد حاجة الناس، مثل السوق الذي شُيّد في المحدثة التي تقع في الجهة الجنوبية للمدينة (ناصر خسرو:1983، ص41)، وكانت ميافارقين على ما يبدو مقصداً للتجار بسبب نشاطها الواسع.

لقد تميزّت الأسواق الإسلامية ومنها أسواق ميافارقين بأنها توجد بالقرب من المسجد الجامع الذي يعد القلب النابض للمدينة الإسلامية، وتميزّت أيضاً بأنها متشابهة في البناء فتكون أغلبها مسقوفة لكي لا تتعرض إلى الظروف الطبيعية المختلفة (العبادي: 1980، ص158)، وكانت هذه الأسواق تعرف باسم المهنة، أو السلعة المتداولة فيها، مثل سوق الطعام الذي تباع فيه المواد الغذائية كالخضار والفواكه، واللحوم والسمن، والحبوب، وسوق الخيل الذي في ربض المدينة الذي أصبح مركز جذب صناعي وتجاري لجميع من يعملون في بيع وشراء الخيل، إذ كان مركز الحياة العسكرية (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص276)، وسوق القبة الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى القبة التي شيّدت فوقه وتتفرع منه أسواق اخرى ، وسوق البز أو القماش، وهناك سوق آخر هو سوق العطارين الذي توجد فيه حوانين صغيرة لبيع العقاقير والسلع المتشابهة الأخرى (الفارقي:1959، ص100).

وقد اهتم الأمراء الأيوبيون في المحافظة على نظام هذه الأسواق ومنع التلاعب فيها إذ جعلوا عليها رقابة شديدة وكلت مهمتها لرقيب يعرف باسم المحتسب (القلقشندي: د/ت، جـ4، ص37) يعينه السلطان، وكانت صلته قوية بالسلطة القضائية فكانت سلطته مُتمّثلة في المخالفات الصحية، أو الآداب العامة، أو نظام الأسواق، أو الاعتداءات على الطرق (المقريزي:1934، ص464)، كما أشار القلقشندي بوجود نواب للمحتسب مهمتهم التجوال في الأسواق والمحلات العامة، ويساعدون المحتسب في تنفيذ تعليماته (القلقشندي: د/ت، جـ4، ص37).

ويبدو واضحاً أن اقتصاد ميافارقين، والحركة التجارية في أسواقها قد تأثرت بالتقلبات السياسية، والصراعات والحروب المستمرة بين الأيوبيين وغيرهم من القوى الخارجية، وكان آخرها هجمات المغول، وحصارهم للمدينة سنة 657هـ/ 1259م، والتي كان لها تأثيرها الواضح على تردي الأوضاع المعيشية، وتراجع النشاط الاقتصادي، وقد وصف ابن شداد أحوال أهلها، ومعاناتهم، فقال بهذا الصدد: "**وقلّت الأقوات في البلد، ووقع الوباء في أهله**" (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص502). وقال أيضاً معبراً عن تلك الحالة المزرية: "**ثمّ اشتدت الحال على ميافارقين بكثرة القتل والجوع، والفناء**" (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص502) كل ذلك بسبب ندرة، وارتفاع

أسعار المواد الغذائية، حيث ذكر ابن شداد أسعار بعض تلك المواد، فعلى سبيل المثال بلغ سعر الرطل الواحد من الخبز ستمائة درهم، بينما بلغ رطل اللبن نحو سبعمائة درهم، والأوقية من العسل ستمائة درهم، والبصل ثلاثة وخمسون درهماً، والسلق ستة دراهم (ابن شداد:1978، جـ3، ق2، ص502)

8.3. المستشفيات(البيمارستانات)

تعد البيمارستانات من المنشآت التي وجدت لتقديم الخدمات العلاجية والطبية العامة التي لا تخلو منها مدينة من المدن الإسلامية، وقد واكب إقامة البيمارستانات النمو العمراني للمدينة، ومن أشهر المشافي فيها البيمارستان الفارقي، الذي يرجع بناءه إلى عهد الأمير أبي نصر أحمد بن مروان الملقب نصر الدولة(401-453هـ/ 1010-1061م)، ويعود سبب بنائه هذا هو أن نصر الدولة بن مروان كانت له بنت يحبها كثيراً فمرضت ولم يستطع أحد من علاجها فإلى على نفسه أنه متى شفيت فانه يتصدق بوزنها دراهم فلما عالجها طبيبه زاهد العلماء، أبو سعيد منصور بن عيسى النصراني(ت:460هـ/1067م)[1]، وشفيت من مرضها أشار على نصر الدولة أن يقوم بأنشاء بيمارستان بقيمة هذه الدراهم لينتفع الناس منه فوافقه على ذلك، وكلفه بتولي عمارته، والاشراف عليه (ابن شداد:1978، جـ3، ق1، ص354) وتمّ تجهيز البيمارستان بالمعدات الطبية (ابن ابي اصيبعة: 1988، ص341)

ويذكر أن الملوك، والأمراء الأيوبيون قد اهتموا كثيراً بالرعاية الصحية، وحرصوا على تقديم الدعم للأطباء، والاهتمام بهم، فعلى سبيل المثال، نال الطبيب محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم المعروف بسديد الدين بن رقيقة(ت:635هـ/1237م) رعاية الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل الذي تولّى حكم ميافارقين، إذ أقام بن رقيقة عدة سنوات بالمدينة (ابن أبي اصيبعة: 1988،ص705)، كما كان في خدمته الطبيب عبدالمنعم بن عمر الجلياني الاندلسي (ت:603هـ/1206م) الذي برع في صناعة الكحل إلى جانب الطب (ابن أبي اصيبعة: 1988، ص631).

9.3. الحمامات

تعد الحمامات من المنشآت العمرانية البارزة في ميافارقين، والتي وجدت لخدمة العامة من السكان، وكثر إنشاؤها لحاجات وظيفية مرتبطة بالمبادئ الإسلامية في النظافة والتطهير، وبعدم استطاعة العامة على تضمين منازلهم حمامات خاصة، ورغبة القادرين على إنشاء هذه الحمامات في استثمار أموالهم في انشاؤها، إذ تدر عليهم ريعاً وافراً لشدة الحاجة إليها (عثمان:1988، ص 246)، وكانت هذه الحمامات تزود بمصادر المياه المنتشرة في مركز المدينة وأطرافها فضلاً عن قنوات الصرف وما يصدر عن بنائها من دخان تتحكم أحياناً في تحديد مواضعها ووحداتها (مصطفى شاكر :1988، جـ2، ص 660)، وقد اشتهرت ميافارقين بكثرة حماماتها،

---

(1) **أبو سعيد بن بختيشوع:** هو أبو سعيد منصور بن عيسى، كان مسيحيا نسطوريا واخوه مطران نصيبين، ولقي هذا الطبيب احتراما وتقديرا من قبل الامير نصر الدولة المرواني، ولابن سعيد عدة كتب في الطب منها (كتاب البيمارستانات) وكتاب (في الفصول والمسائل والجوابات) وللمزيد من المعلومات عن هذا الطبيب، وسبب بناء هذا البيمارستان في ميافارقين. ينظر: (ابن أبي اصيبعة: 1988، ص313)

حيث ذكر ابن شداد أن فيها أحد عشر حماماً، وحدد مواقعها، فذكر أن حمام القاضي يقع إلى جانب الجامع، كما أشار إلى وجود ستة حمامات في أسفل القصر (مقر الأمير المرواني)، وهي حمام السعيد، وحمام العقبة، وحمام الحطابين، وحمام الأزج، وحمام الجديد، وحمام خزيمة من انشاء الوزير ابن الفقاعي (ابن شداد: 1978، جـ3، ق 1، ص277)، كما كان هناك حمامات في خارج المدينة، منها حمامين بالمحدثة، وحمامان بالربض، وهما حمام حنباص، وحمام جوزة (ابن شداد: 1978، جـ3، ق 1، ص273).

ويبدو أن كثرة هذه الحمامات قد ارتبط بحاجة المدينة اليها فضلاً عن ذلك فإن المدينة كانت في حالة نمو متزايد مما أدى إلى تزايد عدد الحمامات فيها (مصطفى شاكر :1988، جـ2، ص 660)، أما المواد المستخدمة في بناء هذه الحمامات فكانت الأجر، والحجر والرخام وجميع هذه لمواد تتحمل الماء فيتناسب التخطيط مع مواد البناء في اداء وظيفة الحمام التي تعتمد على الماء (عثمان:1988، ص247؛ الدليمي: 2003، ص136).

خاتمة

من أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث:

تعُد ميافارقين من مدن الجزيرة الفراتية العريقة بتاريخها، أشاد بها المؤرخون، والبلدانيون المسلمون، وأسهبوا في وصفها، والحديث عنها، وعن مواردها، وخيراتها الطبيعية.

كان لموقع ميافارقين الاستراتيجي بين حدود الجزيرة، وأرمينية أن أصبحت على الدوام ميداناً للصراع، والحروب بين القوى الخارجية التي تنافست من أجل السيطرة عليها لذلك تعاقب عليها حكم الكثير من الدول.

كان لمدينة ميافارقين مكانة مُهمة في عهودها الإسلامية لا سيما أيام الدولة المروانية، وكذلك في العصر الأيوبي (581-659هـ/ 1184-1261م)، كونها لعبت دوراً كبيراً في سير الأحداث السياسية، والعسكرية، وحدثت فيها معارك كان لها نتائج في سير الأحداث، واتخذها الأيوبيون قاعدة أمنية، ومركزاً مُتقدماً لصد غارات القوى الخارجية على امتداد حدودهم الشمالية.

أصبحت ميافارقين خلال العصر الأيوبي مقصداً للكثير من التجار، والعلماء، وعاشت فيها قوميات متعددة كالكرد، والتركمان، والعرب، كما وجد فيها أقليات دينية كالنصارى، واليهود تعايشوا مع بعضهم بسلام، وأسهموا جميعاً في خدمة مدينتهم، والدفاع عنها.

رغم تقلبات الأحداث السياسية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال العصر الأيوبي بسبب الصراعات الداخلية بين الأيوبيين، فضلاً عن الغارات المستمرة للقوى الخارجية، وتهديدها لأمن واستقرار المنطقة، إلا أن ميافارقين رغم ذلك شهدت على عهد الأيوبيين ازدهاراً، وتوسعاً عمرانياً ملحوظاً، ويبدو واضحاً أن التطور الذي شهدته المدينة جاء نتيجة تظافر عوامل عديدة لعّل في مقدمتها إدراك الأيوبيين لأهمية ميافارقين، حيث كانت ضمن مشروعهم لتحقيق الوحدة الإسلامية، فضلاً عن موقعها التجاري، وما كانت تتمتع به من موارد طبيعية، وتنوع تركيبتها الأثنية، والدينية كان له دور في بروز المدينة، وتوسعها العمراني.

اشتهرت ميافارقين بمنشأتها، وتحصيناتها الدفاعية المنيعة، كالأسوار، والقلاع، والحصون، والأبراج، والتي كانت محل اشادة المصادر التاريخية، وكان لها دور في حماية المدينة، وصد غارات الأعداء، وأخرها غزو المغول، حيث استطاعت المدينة من الصمود والمقاومة لأكثر من عامين بفضل حصانة هذه الأسوار، وبسالة أهلها، وشجاعة، وإخلاص الملك الكامل الذي قدّم نفسه رمزاً للتضحية والشهادة في سبيل الوطن والمقدسات.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر

1-ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت:630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1966.

2-الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:560هـ/1164م)، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، عالم الكتب، بيروت، 1989.

3-الأصطخري، إبراهيم بن محمد (ت: 346هـ/ 957م)، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر الحسيني، ومحمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، 1961.

4-ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت: 668هـ/ 1269م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، بيروت، 1988.

5-الأنصاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت: 727هـ/ 1326م)، **نخبة الدهر وعجائب البر والبحر**، مكتبة المثنى، بغداد، 1928.

6-البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م)، **معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع**، عالم الكتب، ط3، بيروت،1983.

7-الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: 900هـ/ 1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: احسان عباس، ط2، بيروت، 1984.

8-الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت: 876هـ/1471م)، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق: ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1978.

9-ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت: 367هـ/977م)، **كتب صورة الأرض**، مكتبة الحياة، بيروت،1964.

10- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت: 681هـ/ 1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: 1977.

11- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت: 387هـ/997م)، **مفاتيح العلوم**، دار الشروق، القاهرة، 1342هـ.

12- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ/1347م)، **العبر في خبر من غبرا**، تحقيق: صلاح لدين المنجد، وفؤاد سعيد، الكويت، 1948.

13-الرازي، زين الدين محمد بن عبد القادر (ت:666هـ/1267م)، **مختار الصحاح**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

14- سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت: 654هـ/ 1256م)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، حيدرآباد الدكن، الهند،1952.

15- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: 771هـ/ 1369م)، **معيد النعم ومبيد النقم**، المكتبة العصرية، بيروت، 2007.

16- الشابشتي، علي بن محمد (ت: 388هـ/ 998م)، **الديارات**، تحقيق: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1951.

17- أبو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت: 665هـ/1226م)، **الذيل على الروضتين**، دار الجيل، بيروت، 1947.

18- ابن شاهنشاه الأيوبي، تقي الدين عمر (ت: 617هـ/ 1220م)، **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة،1968.

19- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف (ت:632هـ/1234م)، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، القاهرة،1962، ص197.

20- ابن شداد، عزالدين محمد بن علي (ت: 684هـ/ 1234م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى عمارة، دمشق، 1978.

21- ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت: 685هـ/1286م)، **تاريخ مختصر الدول**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1967.

22- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت: 1089هـ/ 1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، د/ت.

23- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت:732هـ/1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، 1325هـ.

24- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق (ت:723هـ/1323م)، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، مطبعة الفرات، بغداد، 1351هـ.

25- القرشي، عبد القادر بن ابي الوفاء محمد (ت:775هـ/ 1373م)، **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، كراتشي، د/ت.

26- القزويني، ز كريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ/1238م)، **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر بيروت، د/ت.

27- القفطي، علي بن يوسف (ت: 646هـ/ 1248م)، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق: محمد الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1326هـ.

28- القلقشندي، أحمد بن علي (ت:821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، مطبعة كوستا توماس، القاهرة، د/ت.

29- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت: 774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، د/ت.

30- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: 375هـ/985م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1949.

31- المقريزي، أحمد بن علي (ت: 845هـ/1446م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1934.

32- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: 711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، ط3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2004.

33- ناصر خسرو، ناصر الدين القبادياني (ت: 481هـ/ 1088م)، **سفرنامة**، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط3، بيروت، 1983.

34- ابن واصل، جمال الدين محمد(ت:697هـ/1297م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة،1957.

35- الهروي، علي بن ابي بكر (ت:611هـ/ 1214)، **الاشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

36- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت:718هـ/1318م)، **جامع التواريخ**، ترجمة: محمد صادق نشأت، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د/ت.

37- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ت:626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، ط3، بيروت، 1995.

38- اليونيني، موسى بن محمد بن أحمد (ت: 726 هـ/ 1326م)، **ذيل مرآة الزمان**، حيدر آباد الدكن- الهند:1954.

ثانياً- المراجع

39- التكريتي، محمود ياسين، **الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة**، دار الرشيد، بغداد،1981.

40- الدليمي، غالب ياسين، **ميافارقين دراسة تاريخها السياسي والحضاري**، اطروحة دكتوراة، كلية التربية، جامعة المستنصرية، بغداد ،2003.

41- الحارثي، عبد الله بن ناصر بن سليمان، **الأوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين 6 و7 للهجرة**، بيروت، 2007.

42- الحازمي، ناصر محمد علي، **الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، 1421هـ.

43- حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة العربية المصرية، القاهرة، 1967.

44- شميساني، حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983.

45- عاشور، سعيد عبد الفتاح، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986.

46- العبادي، أحمد مختار، **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية**، عالم الفكر، مجلة، مجلد 11، ع الأول، 1980.

47- عثمان، محمد عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، 128، الكويت، 1988.

48- عثمان، ميرفت، **التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي في مصر والشام زمن الحروب الصليبية**، القاهرة، 2010.

49- العريني، السيد الباز، **الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص30.

50- كرد، محمد علي، **خطط الشام**، مطبعة المفيد، دمشق، 1928.

51- لسترانج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة. بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954.

52- مصطفى، جواد، "**الربط وأثرها في الثقافة البغدادية**"، مجلة سومر، مجلد 1، 1954.

53- مصطفى، شاكر، **المدن في الاسلام حتى العصر العثماني**، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، 1988.

54- هانتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**. ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970.

55- **The encyelopedia of islam, maiyafarrkin and mardin** ,vol 3, minorsky, ledene , brill, 1936.